هجرة الثقافة من المشرق الى المغرب في القرن الثاني للهجرة *

د . أحمد بدر

كلية الآداب — جامعة دمشق

تعددت المؤلفات وكثرت الابحاث الهادفة لبسط جوانب التاريخ السياسي للمغرب خلال العصور الوسطى ، وتفصيل حوادثه وتبيان الخيط الرابط لوقائعه عبر الزمن . وقد سادت في اكثر المؤلفات ، نظرة (مارسيه) التي تجعل المحور او الخيط الرابط للحوادث ذلك التناحر والصراع الذي بدأ بفتح قاس عسير غرق فيه المغرب بدماء الفاتحين وسكان البلاد على السواء ، ثم تلته ثورة للمغاربة على حكم المشرق وسلطانه ، لتبدأ بعد فشلها عملية تملص وخلاص تدريجي للمغرب من ربقة هذا الحكم وذلك السلطان . واخيرا جاءت الخلافة الفاطمية ، التي نشأت على ارض المغرب اواخر القرن الثالث الهجري ووطدت سلطتها عليه في القرن التالي ، لتصل بعملية الخلاص الى ذروتهاوتحدث الخلاص التام أو الطلاق بين المشرق والمغرب(١) . واذلم نكن في صدد مناقشة صحة هذه النظرة ، لكننا نلاحظ ان الوجه الاخر من العلاقات بين المغرب والمشرق لم يحظ بالاهتمام نفسه ، وبالتالي لم يكن الانتاج العلمي فيه على المستوى ذاته من حيث التفصيل والافاضة . نعني بهذا الوجه الاخر من العلاقات ، تلكالصلات الحضارية التي ظلت مستمرة ودون انقطاع طيلة تلك العصور والتي اسفرت عن سيادة حضارة واحدة على جناحي ديار العرب والاسلام كونت لهما شخصية حضارية متميزة ، مثلت الثقافة الواحدة اكثر ظواهرها بروزا ووضوحا .

---

* اعد هذا البحث للمؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربيـة الاسلامية ، دمشق ، ١٦ — ٢٢ جمادى الاخرة ١٤٠١ هـ / ٢٠–٢٦ نيسان ١٩٨١ م .

بدأت الخطوة الاولى والحاسمة في مجال تكوين هذه الثقافة الواحدة في اواخر القرن الهجري الاول ، عند تمام فتح المغرب ، وخلال القـرن الذي تلاه عندما توالت وتعددت طرق الاتصال وهجرة الثقافة من المشرق الى المغرب التي حملها الفاتحون في ركابهم واشخاصهم ، ثم بدأت الاحزاب السياسية التي ارتدت فيما بعد ثوب المذهب تعمل عملها وتنقل الثقافة عبر تعميقها لمفاهيم الاسلام لدى المغاربة الذين اعتنقوا الدين الحنيف ، وتبع ذلك او رافقه دور الرحلة في طلب العلم ، او التجارة من المغاربـة باتجاه المشرق او هجرة المشارقة في الاتجاه المعاكس .

هجـرة الثقافة في ركـاب الفتـح

من المعروف ان الفتوحات الاسلامية اختلفت عن الغزوات الواسعة النطـاق التي كانت تقوم بها اقوام متعددة ما بين فترة واخرى في التاريخ الانساني ، اذ انها لم تكن حربا بالمعنى المتداول للكلمة ، هدفها توسيع سلطان او كسب غنيمة ، بل كانت جهادا ، ينظمه قانون هو الشريعة الاسلاميـة التي حـددت لهـذه الحرب اهدافها بتأمين حرية نشر الدعوة ، ورسمت للقائمين بها حدود العمل وطـرق التنفيذ في بعض الاحيان ، لذلك كله كان الجيش العربي الاسلامي بنية واجهـزة مختلفا عن الجيوش الاخرى تبعا للاختلاف في الغاية ، وهـذا الامر بالـذات جعل منه اداة اكثر ملاءمة واكبر فعالية في نقل الثقافة . اذ ان الجهاد فرض ، مما جعل الصحابة والتابعين وهم حملة العلم ونقلته يقفزون الى المقدمـة فيه ، لحرصهم على القيام بفروضهم ، واسهم هذا ، اضافة لمكانتهم الاجتماعية ، في جعل القيادات من نصيبهم في الغالب . وقد بلغ عدد من دخل المغرب من الصحابة في فترة الفتح واقام فيه، لامد قصير او طويل حسب كتاب الطبقات ثلاثين من كبارهم ممن شاهد الرسـول الكريم ، واثني عشر من صغارهم ممن ولدوا في عهده ولم يروه . كما استقر به من التابعين المشهورين برواية العلم ونشره خمسة وعشرون(٢) .

من ناحية اخرى ضم الجيش في جملة اجهزته جهازا يمكـن تسميته بالجهـاز المعنوي حسب مصطلحاتنا الحديثة ، وتقتضي مهماته ان يكون العاملون فيه مـن حملة العلم ايضا . وقد ظهرت نواته منذ عهد الرسول الكريم فاستمر بعده لانـه سنة كما يفهم من رواية لسيف في الطبري يورد فيها ايضا المناصب المتعددة لهـذا الجهاز في معرض حديثه عن موقعة اليرموك سنة ١٣ هـ وذلك بقوله « وكان القاضي

ابو الدرداء ، وكان القاص ابو سفيان بن حرب ... وكان على الاقباض عبد الله بن مسعود .. وكان القارىءالمقداد . ومن السنة التي سن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بدر ان تقرأ سورة الجهاد عند اللقاء وهي الانفال ولم يزل الناس بعد ذلك على ذلك »(٣) .

على الرغم من اسناد الرواية مهمة القراءة لقارىء واحد الا انه يمكن الاعتقاد بأن القراء في الجيش قد تعددوا تبعا لتضخم عدد افراده وتمايز فرقه ، كما ان انتشار تعلم قراءة القرآن الكريم وحفظه في اوساط الناس جعل اعداد القراء في صفوف الجيش ، ممن لم يولوا هذه المهمة بتكليف ، كبيرة . حتى اننا نجد في ثنايا روايات الاخباريين المهتمين بتبيان تمايز فرق الجيش وحدات خاصة بالقراء . اما القاص فكان ممن يحمسون الجند اثناء الاستعداد لدخول المعركة مستخدما الاخبار والقصص الديني والتذكير بأوامر الله التي يقوم المجاهدون بتنفيذها ، فهو والحال كذلك واعظ . ومن هذه المهام التي يقوم بها مسلمون من حملة العلم (الاقباض) ، وصاحبها تجمع لديه الغنائم قبل قسمتها وقد يتولى فيما بعد قسمتها . وقد نظم الشرع العملية مما جعل العارف به مؤهلا لها . وممن قاموا بها في واحدة من عمليات فتح المغرب عبد الله بن عباس بن عبد المطلب المشهور بعلمه الواسع حتى ان اصحابه يسمونه الحبر ، اذ « كان من العلماء بكتاب الله وبتفسيره وناسخه ومنسوخه ومحكمه ، وعالما بالسنة » .

ويقول التابعي طاووس في هذا الصدد « ادركت نحو خمسمائة رجل من اصحاب رسول الله (ص) اذ ذاكروا ابن العباس فخالفوه ، لم يزل يقررهم حتى ينتهوا الى قوله »(٤) اضف الى ذلك ان الجيش كمجموعة من المسلمين اقتضى قيامهم بفروضهم الدينية نشوء بعض المهام التي عين لها موظفون معروفون بمكانتهم الدينية والعلمية ، منها جمع الصدقات التي عين لها لاول مرة في صفوف الجيش الفاتح للمغرب حنش الصنعاني(٥) ، وهو تابعي اشتهر بغزارة علمه وسعة درايته وشدة حماسته لنشر الاسلام ، وقد اخذ عنه الناس حيثما سار ، من مصر حتى الاندلس مرورا بالمغرب .

وكان طبيعيا ان يتم انتقال الثقافة التي يحملها هؤلاء الفاتحون للمغرب عبر دخول المغاربة في الاسلام ، ومع ذلك تبقى كيفية الاتصال بين الطرفين التي تمكن من هذا الانتقال مجالا لطرح التساؤلات . وتزودنا المصادر العربية في هذا المجال باخبار عدة موضحة الكيفية التي تمت بها الاتصالات .

كان اول المجالات حسب هذه المصادر ، الجيش ذاته الذي التحقت بـه الوف مؤلفة من المغاربة ، ومن كل تجمعاتهم القبلية . بدأ ذلك بأول هذه التجمعات واقربها مواطنا الى المشرق حيث دخل العرب ونعني به تجمع زناته ، ومن جملة قبائله قبيلة جرادة قوم الكاهنة ، التي حطم انتقاضها نهائيا حسان بن النعمان . وقد نقل لنا ابن عذاري في جملة ما نقلهمناخباره انه « كان مع حسان جماعة من البربر (المغاربة) استأمنوا اليه فلم يقبل امانتهم الا ان يعطوه من قبائلهم اثني عشر الفا يجاهدون مع العرب فأجابوه واسلموا على يديه فعقد لولدي الكاهنة ، لكل واحد منهما على ستة الاف فارس واخرجهم مع العرب يجولون في المغرب يقاتلون الروم ومن كفر من البربر »(٦) . وبعد عدة قرون من الفتح تبرز من هذا التجمع على مسرح الاحداث قبيلة يفرن التي تقول انها من موالي عثمان بن عفان ، الخليفة الراشدي الثالث الذي جرت من عهده وقائع عدة لفتح المغرب ، مما يدفع للظن بأن القبيلة قد حالفت العرب في فترة حكمهواصبح افرادها بالتالي موالي حلف يختارون حسب العادة الجارية في المشرق ، القوم الذي ينتمون اليه . وفي عهد موسى بن نصير الذي اوصل عمليات فتح المغربالى نهايتها المظفرة ، واتبع سياسة في الفتح قامت على اساس مهاجمة القبائل في مواطنها . وكي يأمن بقاءها على الولاء رغم ما اشتهرت به من كثرة الانتقاض ، كان يأخذ منها رهائن ومن ثم يستخدمهم في عمليات الفتح ويلحقهم بالجيش . وعن هذا الطريق انضم للجيش الفاتح آلاف مؤلفة من التجمعين القبليين الباقيين في المغرب ، صنهاجة ومصمودة . فقد قدم عليه حسب قول ابن عذاري وفد كتامة الصنهاجية بالطاعة « فولى عليهم رجلا منهم واخذ منهم رهائن من خيارهم » . وفي المغرب الاقصى ، حيث يستوطن التجمع القبلي الثالث ، مصمودة في الجبال خاصة تكرر ما حصل في اجزاء المغرب الاخرى ، اذ « حمل ابو مدرك زرعة ابن ابي مدرك رهائن المصامدة ، جمعهم موسى مع رهائن البربر الذين اخذهم من افريقية والمغرب وجعل عليهم مولاه طارقا ودخل بهم جزيرة الاندلس » . وفي مكان اخر يحدد المؤرخ نفسه النسبة العددية المتقاربة للمشاركة بين قبائل المشارقة والمغاربة وذلك بقوله « استعمل مولاه طارقا على طنجة وما والاها في سبعة عشر الفا من العرب ، واثني عشر الفامن البربر »(٧) وظلت المشاركة قائمة ايضا في الجيش الذي دخل به موسى بن نصير الاندلس بعد دخول مولاه طارق ، اذ يذكر ابن عبد الحكم ذلك بالقول « ثم خرج موسى بن نصير الى الاندلس في رجب سنة ٩٣ هـ

بوجوه العرب والموالي وعرفاء البربر »(٨) . هذه المشاركة في الجيش لابناء القبائل العربية المشرقية والقبائل المغربية والتي نسميها فن مصطلحاتنا الحديثة (اخوة السلاح) ربما كانت الواقع المعروف المشهور لدى نقلة اخبار المغرب او حفظته ، الذي اوحى لهم بابتداع اسطورة تعبر عن هذه المشاركة تعبيرا رمزيا ، وهي حسب رواية ابن عذاري « ان خالد بن يزيد العبسي كان في جملة اسراها فقالت له يوما : ما رايت في الرجال اجمل منك ولا اشجع وانا اريد أن ارضعك فتكون اخا لولدي . وكان لها ابنان احدهما بربري والاخر يوناني ... وقالت له نحن جماعة البربر لنا رضاع اذا فعلناه نتوارث به . فعمدت الى دقيق الشعير فلتته بزيت وجعلته على ثدييها ودعت ولديها وقالت كلا معه على ثديي ففعلا فقالت قد صرتم اخوة »(٩).

من الطبيعي ان تشكل هذه المشاركة في صفوف الجيش انتقال الثقافة من الطرف العربي الى الطرف المغربي . ومن الامثلة البارزة على ذلك مثل طارق بن زياد الذي اضحى عارفا بالعربية قادرا على الخطابة بها ، واذا صوبت سهام النقد للخطبة المشهورة المنسوبة اليه فان هذا النقد لم يطل اكثر من الشكل البديعي ولم يتعد الى امكانياته الخطابية ، ولا الى النص البسيط الخالي من المحسنات اللفظية الذي اوردته المصادر المبكرة نسبيا من تاريخ الاندلس(١٠) .

لكن عملية انتقال الثقافة العربية الى المغرب لم تقتصر على نتاج عمليات عفوية تمت بفعل ظروف مواتية ، وانما تعدى الامر ذلك الى عماية نشر موجهة من قبل القواد . وقد حفظت الروايات لنا ذكرا لعمل اثنين منهم وهما عقبة بن نافع وموسى ابن نصير . يذكر ابن القطان عن عمل الاول منهما في هذا المضمار في معرض حديثه عن دخول المصامدة من اقصى المغرب في الاسلام بقوله : « واكثرهم اسلموا طوعا على يديه ، وانه ترك معهم بعض اصحابه يعلمونهم القرآن والاسلام ، منهم شاكر صاحب الرباط وغيره »(١١) وممن تدخلهم الرواية ضمن اصحاب هذا الفاتح صالح بن منصور الحميري الذي نزل في منطقة الريف ونشر الاسلام في صفوف قبائله من غمارة وبعض فروع صنهاجة ، وانشأ احفاده فيما بعد دولة لهم في المنطقة عاصمتها ناكور التي تقع خرائبها على مقربة من ميناء الحسيمة الحالي(١٢) .

وقام موسى بن نصير بأمر العرب في جيشه أن يعلموا المغاربة القرآن ويفقوهم في الدين . اما بالنسبة للناس خارج الجيش فقد ترك فيهم سبعة عشر رجلا يعلمونهم القرآن وشرائع الاسلام .

يلاحظ ان المواطن التي عمل فيها القادة الفاتحون على نشر الثقافة العربية الاسلامية ونقلها للمغاربة ، كانت في اقصى المغرب ، في حين لا يرد في الروايات شيء عن عمل مماثل لهم في المغرب الادنى . وهو امر يمكن تفسيره بأن الحاجة لعملهم هنا لم تكن قائمة ، مادام المشارقة المستقرون في هذا الموطن كثر ، نقلوا معهم جو المشرق الثقافي وكذلك وسائله في نشرها ، مثل المساجد وحتى الكتاتيب التي وجدت في القيروان منذ وقت مبكر ، بدليل ما يروى على لسان احد تلامذتها من قول : « كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله (ص) يمر بنا ونحن غلمة في القيروان فيسلم علينا ونحن في الكتاب وعليه عمامة قد ارخاها من خلفه »(١٣) . ومن الطبيعي ان تكون هذه الثقافة جامعة للتراث العربي من لغة وشعر ، اضافة للتراث الاسلامي من قرآن وحديث واقوال للصحابة . وهذا ما تؤكده الوصية المنسوبة لعقبة ، لاولاده ، عندما غادر القيروان متجها لغزوته الكبرى في المغرب ، ويقول فيها : « يا بني اوصيكم بثلاث خصال فاحفظوها ولا تضيعوها : اياكم ان تملؤوا صدوركم بالشعر وتتركوا القرآن فان القران دليل على الله عز وجل ، وخذوا من كلام العرب ما يهتدى به اللبيب ويدلكم على مكارم الاخلاق ، ثم انتهوا عما وراءه . . »(١٤)

هجرة الثقافة عن طريق دعاة الاحزاب السياسية ـ المذهبية

عندما كانت عمليات فتح المغرب تأخذ مجراها في النصف الثاني من القرن الاول الهجري ، كان المشرق يعج بالتيارات السياسية التي تبلورت خلال صراعها مع السلطة السياسية الاموية على شكل مذاهب اعتقادية ضمن اطار الدين الاسلامي . وعند هزيمتها في ثوراتها المعلنة على السلطة السياسية كانت تلجأ للتنظيم السري ونشر مبادئها بواسطة دعاة توجههم الى سائر انحاء ديار العرب والاسلام .

وقد افاد الدعاة الموجهون للمغرب من عدة ظروف مواتية ، منها بعده عن المركز ، ورغبة القبليين المغاربة بالاستقلال ، شأنهم في ذلك شأن غيرهم ممن ينتمون الى قبيلة تربط بين افرادها رابطة العصبية التي تسعى الى الملك الذاتي ، اضافة لكون بعض هذه المذاهب تعزف على وتر المساواة بين المسلمين ، وعدم تفضيل قريش على غيرها ، كالخوارج ، واجازة بعضها للثورة على ائمة الجور ضمن اطار احد مبادئها بضرورة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . لكل هذا وجد زعماء القبائل المغربية ان بينهم وبين هذه الاحزاب ودعواتها قضية مشتركة هي عداء السلطة . لكن الامر يظهر وكأنه اكبر من قضية نفعية ، لان مبادىء هذه الاحزاب لم تنتشر فقط بل وترسخت ايضا ، واصبح لها بين المغاربة اتباع كثر متحمسون ، مما يدفعنا للبحث عن عامل اخر يضاف للعوامل السابقة ، فهل يكون طبيعة اسلام المغاربة الاول ؟ . .

الملاحظ ان انتشار الاسلام كان سريعا على عكس الفتح الذي كان عسيرا وبطيئا. ففي العقد السابع من القرن الاول يصف ابن القطان موقف المصامدة في المغرب الاقصى من عقبة : « انه اول الفاتحين قدوما وانهم اسلموا طوعا على يديه»(١٥) ، وفي العقد التالي يفهم من ابن عبد الحكم ان اغلبية البتر ، احد الجذمين اللذين تنحدر منها القبائل المغربية ، قد دخل في الاسلام(١٦) ، وفي اخر القرن ، أي زمن ولاية اسماعيل بن ابي المهاجر سنة ١٠٠ – ١٠١ هـ ، تقول الاخبار انه لم يبق في زمنه احد من المغاربة الا اسلم ، وهو امر لايصدق على الجميع ، وبخاصة على اتباع الديانات التوحيدية كالمسيحيين خاصة ، الذين ظل البطارقة يأتونهم من الاسكندرية حتى بعد عدة قرون(١٧) . وهذا كله يدل على ان الاسلام شهد في المغرب انتشارا واسعا في امد قصير لم يشهد مثيلا له في البلاد الاخرى ، حتى انه كان يشمل الوثنيين في مدة لاتزيد عن ثلث قرن. ولكن هذه القبائل التي اسلمت بسرعة كانت كثيرة الانتقاض ، حتى ان ابن خلدون يقول انهم ارتدوا اثنتي عشرة مرة (والغالب ان المعنى المقصود انتقاض سياسي) وهذا ما يعرضها لعقوبة النكث بالعهد ، خاصة وان الاسلام كان اقل تسامحا مع الوثنيين وبالتالي كان اسلامهم بمثابة استسلام ولم يرافقه فهم كامل عميق . ولا ادل على ذلك من ان افريقية اول البلاد فتحا واقدمها اسلاما ظلت حتى نهاية القرن الاول غير متقيدة في ممارساتها بأوامره ونواهيه ، حتى ان ابن عذاري يورد وصفا لعمل اسماعيل بن ابي المهاجر بالقول « علم اهل افريقية الحلال والحرام ، وبعث معه عشرة من التابعين اهل علم وفضل .. وكانت الخمر بافريقية حلالا حتى وصل هؤلاء التابعون فبينوا تحريمها»(١٨).

هذه السطحية في اسلام المغاربة اول الامر هو الذي مكن الدعاة ، وكان اكثرهم من الراسخين في العلم، من بلورة مبادئه ومفاهيمه في اذهان المغاربة وفق الشكل المطابق لمذاهبهم .

دعاة الخوارج :

كان الخوارج اول المستغلين لهذه الظروف المواتية في المغرب ، حيث ظهر في اواخر النصف الثاني للقرن الاول الهجري داعيان كبيران لهما ، يمثل احدهما الصفرية، ويدعو الثاني للاباضية . وهكذا ظهر في القيروان عكرمة مولى الصحابي الشهير عبد الله بن عباس(١٩) ، وكان مقامه في مؤخرة المسجد ، ونجح في اقامة اتصالات من اناس من قبائل مغربية شتى ومن اماكن عدة . فبرز من بين اتباعه فيما بعد ميسرة المدغري الذي تنعته الروايات بالحقير ، والذي تقلبت به الاحوال من سقاء في سوق القيروان

لقائد اول ثورة صفرية خارجية كبيرة ، انطلقت من طنجة في اقصى المغرب عام ١٢٢هـ ٣٦ـ٧٤٠م ، وهددت سلطان الامويين في المغرب كله ، وممن لقي عكرمة سعد المكناسي الذي اسس حفيده عيسى بن يزيد ، او مزيد الاسود معما يزيد على ٤٠٠ من الصفرية دولة اتخذت من سجلماسة في اقصى جنوب المغرب الاقصى على حدود الصحراء (تافيلالت الحالية) دولة صفرية سنة ١٤٠ هـ/٧٥٧م ، ظلت قائمة حتى اواسط القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ، رغم ان الحكم انتقل فيما بعد من يد عيسى الى صفري اخر هو سمعون او سمكو بن واسول او يزيلان الذي كان صفريا ايضا(٢٠) . وتغلغل المذهب الصفري في المغرب الاقصى حتى شواطىء الاطلسي عندما تزعم اشتاتا من قبائل زناتية ــ اشتهرت باسم برغواطة ــ صالح بن طريف احد اعوان ميسرة، ولو ان المذهب اختلط هنا ببقايا معتقدات اخرى قائمة في المنطقة المعروفة بتامسنا والممتدة على الاطلسي من الرباط الى ما وراء الدار البيضاء . وامتدت مواطن انتشار الصفرية نحو المغرب الاوسط ، عندما انتشرت بين بني يفرن الزناتيين المقيمين حول تلمسان والذين بايعوا اميرهم ابا قرة اماما حوالي سنة ١٤٠ هـ/٧٥٧ م .

لقي المذهب الخارجي الثاني ، الاباضي ، انتشارا مماثلا في سعة النطاق ، لكنه كان اكثر تعمقا في الافكار واكثر رسوخا حيث انتشر ، وربما نتج ذلك عن حسن تنظيم دعوته وطريقته في اعداد اتباعه وافراده . فقد لجأ شيوخ هذا المذهب منذ النصف الثاني من القرن الاول الهجري للسرية في ظل امامة جابر بن يزيد(٢١) ، والناطق باسم جماعتهم تجاه الجميع عبد الله بن اباض . وعندما خلف ابو عبيدة مسلم بن ابي كريمة جابرا في الامامة سنة (٩٥) على ما يرجح ، تطور التنظيم المركزي ونشطت الدعوة . فقد نظم الاتباع في مجالس، وقاد الجميع عدد قليل في الاعلى ،وتقلد ابو عبيدة ضمن القيادة كل ما يتعلق بالمذهب والتبشير به ، بينما تقلد حاجب الطائي شؤون الحرب والاشراف على بيت مال الجماعة ، واعد الدعاة في مركز خاص للتعليم اشرف عليه ابو عبيدة وعلم فيه طلابا هرعوا اليه من اصقاع شتى من ديار الاسلام ، وكان يرسل منهم بعد تدريبهم على التبشير مجموعة لكل بلد يسميها (حملة العلم) او (نقلة العلم)، وفيها امام وقاض وعليها نشر المذهب وجمع الاتباع ،وارسال من ينجب منهم الى المركز في البصرة ليصار الى تعليمه وتدريبه ، وبذلك يؤمن للدعوة في كل بلد عنصرا محليا من سكانها . وكان ذلك على ما يظهر بمثابة السياسة المتبعة ، فقد روي عن احد اباضية الحجاز قوله : « قدم الينا ابو عبيدة مرة حاجا ومعه امرأة من المهلبيات ، فلما فرغوا من حجهم قالت : يا اباعبيدة اني اريد المقام بمكة فقال : لاتقيمي الخروج افضل لك ، قال ابن مسروق (من دعاة الاباضية في الحجاز) فقلت وانا اخرج معكم يا اباعبيدة فقال : اما انت فأقم ، فقلت تأمر هذه بالخروج معك وتأمرني بالمقام ؟ قال : لانك قريب من مكة ونحن بعيد عنها(٢٢) .

يظهر اول دعاة الاباضية المرسلين الى المغرب وهو سلمة بن سعيد في جبل نفوسه ، حيث افلح في جميع اتباع وارسال البعض منهم الى مدرسة البصرة ،وقدبرز منهم ابوعبد الله محمدبن عبد الحميد بن مغطير الجناداني،الذي عاد واشترك مع سلمة في نشر المذهب. ولقيت العملية نجاحا باهرا اذ اضحى جبل نفوسة معقلا رئيسا لاباضية المغرب ، سواء على صعيد اشعال الثورات او المساهمة في اقامة الدول الاباضية . كما تقدمت الدعوة غربا واستطاع دعاتها ارسال بعثة علمية من منطقتي طرابلس والمغرب الادنى تتكون من ابي ضرار اسماعيل بن ضرار الغدامسي من غدامس جنوب طرابلس ، وعبد الرحمن بن رستم من القروان وعاصم السدراتي من سدراته في غرب الاوراس ، وابو داود القبلي النفزاوي من نفزاوة بجنوب المغرب الادنى ، وانضم اليهم في البصرة ابو الخطاب المعافري . قضى هذا الوفد خمس سنوات في البصرة بين ١٣٥ ـ ١٤٠ هـ ، واضحى كل عضو منه بعد عودته بؤرة اشعاع للمذهب وتتلمذ عليه اخرون(٢٣) .

وقد انشأ عمر بن يمكتن احد التلاميذ مدرسة في جبل نفوسة لتعليم القرآن وتفسيره ، كما قاد بعض الاعضاء ثورات كانوا فيها الائمة للثائرين ، كأبي الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافري ، الذي دعي له بالامامة سنة ١٤٠ هـ ، وظل كذلك طيلة اربع سنوات قتله بعدها ابن الاشعث(٢٤) . اما عبد الرحمن بن رستم فقد نجح في اقامة دولة اباضية كبيرة نسبيا قاعدتها تاهرت في المغرب الاوسط ، انضوى تحت لوائها كل اباضية المغرب حتى جبل نفوسة شرقا ، وعاشت منذ سنة ١٦١ ـ ٢٩٦هـ/ ٧٧٨ ـ ٩٠٨ م .

ولعل ما يهمنا في المقام الاول من دعوة الخوارج في المغرب ، هو نوعية الثقافة التي نقلوها اليه . وتدل الشواهد على انها تلك الثقافة العربية الاسلامية التي حملها الصحابة وبعدهم التابعون اواخر القرن الاول الهجري واوائل الثاني ، وتتألف من كتلة تشتمل على بذور علوم دينية متعددة ، ففيها القرآن قراءة وتفسيرا وغريبا ، وفيها الحديث واقوال الصحابة وفتاواهم . ذلك لان العلوم لم تكن قد تمايزت بعد ، ولم يفترق الخوارج عن غيرهم من المسلمين فيهذا المضمار باستثناء بعض الاجتهادات الخاصة بهم حول مدلول نص من القرآن الكريم او الحديث او الاخذ بفتاوى صحابي دون غيره . وعرف اقطاب الخوارج المشارقة ، سواء منهم من قدم للمغرب كي ينشر مذهبه او من نقل عنه حملة العلم المغاربة ، بأنهم من مشاهير العلماء في صفوف التابعين ، وقد نقلوا علمهم عن كبار الصحابة المبرزين فيهذا المضمار . فجابر بن زيد، الذي تنسب اليه امامة الاباضية ، كان من كبار التابعين ويقال انه ادرك سبعين من

اهل بدر ، واخذ اكثر ما اخذ عن ابن عباس وعائشة ام المؤمنين ، واعتبره العاملون في جمع الحديث الصحيح ، كالبخاري ومسلم وابي داود ، ثقة، وكان له مؤلف ضخم هو مدونته التي احتوت على الحديث واقوال الصحابة وفتاواهم . اما ابو عبيدة مسلم بن ابي كريمة فقد حفظ علم استاذه جابر ، واخذ كذلك عن بعض الصحابة ويؤثر عنه قوله : « من لم يكن له استاذ من الصحابة فليس على شيء من الدين وقد عن اربعة كان عكرمة احدهم . ويقال ان عبد الله بن عباس قال له : « انطلق فافت بالناس » وقوله هو ، أي عكرمة « طلبت العلم اربعين سنة ، وكنت افتي بالباب وابن عباس في الـدار » .

اما عكرمة ناشر مذهب الصفرية في المغرب فقد اخذ عن عبد الله بن عباس وعائشة وابي هريرة وعبد الله بن عمر ، وروت عنه جماعة كبيرة من التابعين منهم جابر بن زيد امام الاباضية ، واحتج بحديثه عامة الائمة القدماء اذ اعتبر لدى الجميع حافظ علم سيده عبد الله بن عباس المشهور بين الصحابة بعلمه الواسع . لذلك كان في الحديث كما ذكرنا ، وكذلك في القرآن اذا أثر على الشعبي قوله : ما بقي احد اعلم بكتاب الله من عكرمة ، كما روى عن سفيان الثوري نصحه للناس في الكوفة بان يأخذوا التفسير عن أربعة كان عكرمة احدهم . ويقال ان عبد الله بن عباس قال له : « انطلق فافت بالناس » وقوله هو ، أي عكرمة « طلبت العلم اربعين سنة ، وكنت افتي بالباب وابن عباس في الدار » .

ففهاء الجماعـة :

يظهر ان نشاط دعوة الخوارج والنجاح الذي احرزته منذ بدايتها في اواخر القرن الاول الهجري لم تخف عن علم البلاط الاموي ، وتدل اعمال الخلفاء ومساعيهم التي بذلوها ردا على ذلك ، على انهم ادركوا احد الاسباب الرئيسية لنجاحها، وهو سطحية اسلام المغاربة ، وهذا ما يفسر مسارعة عمر بن عبد العزيز الخليفة الاموي لارسال عشرة من التابعين مع واليه للمغرب بغاية تفقيه المغاربة في الدين . وقد ركز كتاب التراجـم على تبيان نشاطهم في هذا المضمار وابعاده ، بجمل محددة قد تتكرر في اكثر من ترجمة مثل « انتفع به اهل افريقية وبث فيهم علما كثيرا » و « وعلموهم السنن » وعلموهم « الحلال والحرام » كما يشيرون الى بناء العديد منهم للمساجد ، التي لا يخفى دورها في التعليم الى جانب العبادة . ومن ناحية اخرى ، كانت اعمال هؤلاء الفقهاء تجعلهم على صلة بقطاعات واسعة من الناس، فقد كان بعضهم قضاة مثل جعثل بن هاعان بن عمير البتور(٢٥) الذي كان قاضيا للجند حتى ايام هشام بن عبد الملك ، كما ان ابا الجهم

عبد الرحمن بن رافع كان قاضيا للقيروان منذ استقرار الفتح بها زمن موسى بن نصير . وكان اسماعيل بن عبيد الانصاري تاجرا موسرا ، يرسل الاحمال من المغرب الى المشرق وقد بنى في القيروان مسجدا كبيرا دعي بمسجد الزيتونة وتصدق بسبعمائة ثوب على المجاهدين ، ونتيجة لمسلكه دعي بتاجر الله(٢٦). وفي مجال المستوى العلمي كان العشرة تابعين ،وبعضهم كان عالما مشهودا ، وراوية ثقة اعتمد عليه وروى عنه بعض مشاهير علماء المسلمين في المشرق . ولعل اهم حادثة تتجلى فيها الغاية من ارسالهم للوقوف في وجه مد الدعوة الخارجية ، بتعميق مفاهيم الدين الاسلامي للمغاربة وفق المنظور والاجتهاد الذي تراه الجماعة من اهل الطاعة للخلافة الاموية ، استعانة والي المغرب ، حنظلة بن صفوان بهم لتنفير الناس عن الخوارج . اذ يروي المالكي في الروض نقلا عن عبد الاعلى بن عقبة الغفاري : « لما ثارت الخوارج على حنظلة بن صفوان بطنجة جمع حنظلة علماء افريقية ، وهم الذين بعثهم عمر بن عبد العزيز الى افريقية ليفقهوا اهلها في الدين ، منهم سعد بن مسعود وحبان بن جبلة وطلق بن حابان ، فكتبوا له رسالة ليقتدى بها المسلمون ويعتقدوا ما فيها »(٢٧) .

الدعوة الفاطمية :

بينما كان هذا الصراع على الصعيد الفكري بين تيار الجماعة والخوارج ، يجري على ارض المغرب ، وتنتقل عبره من المشرق ثقافة مرتبطة باطراف الصراع ، كانت الدعوات في المشرق تزداد عددا وتترقى تنظيما وتغنى فكرا وتتطلع الى نشر افكارها ومبادئها في اطراف الدولة . وربما لفتت نجاحات الخوارج فيه انظار اصحاب الدعوات للفرص المتوافرة فيه ، فقام المشرفون على الدعوة التي نجحت بعد قرابة قرن ونصف في انشاء الدولة الفاطمية على ارض المغرب ، بارسال داعيين سنة ١٤٥ هـ ونسب ارسالهما لجعفر الصادق (٨٣ ــ ١٤٨ هـ) ، الذي « امرهما ان يبسطا ظاهر علم الائمة من آل محمد وينشرا فضلهم » ، وامرهما ان يتجاوزا افريقية الى حدود البربر ثم يفترقان فينزل كل منهما ناحية . فلما وصلا الى مرماجنة (على نحو ثلاث مراحل من القيروان) ، نزل احدهما وكان يعرف بابي سفيان ، بتالا(تقع على بعد ٤٥ ميلا جنوب السكاف وعلى١٧ ميلا شرق الحدود الجزائرية)، واستطاع بمسلكه وعمله نشر مذهبه فيمرماجنة والاربس ،واستفاد ايضا من وضع المدينة كمركز للتبادل التجاري لينشر مذهبه في نقطة في الجريد عن طريق جماعة كان افرادها يختلفونبالتمر الى تلك المدينة ويشترون القمح . اما الثاني فعرف بالحلواني وعمل في منطقة الاوراس ، اذ نزل في موضع الناظور على مقربة من بجاية ، ونشر مذهبه في صفوف قبائل كتامة ، ومعقلها جيل ايكجان على مقربة من سطيف ، وكذلك في نفزه وسماته ، او سماطة ،

وهي عند النسابين فرع مـن الاولى ، وبها سميث مدينة سماطـــة بين بلزمـة وسجلماسة(٢٨).

الاعتـزال :

يكاد هذا التيار ان يكون فكرا بحتا ولا علاقة مباشرة له بالسياسة ،ومعذلك كانت اوساط الجماعة تنظر اليه نظرة معادية لخوضه في امور لم يتعرض لها السلف الصالح كما ان السلطات ، سواء الاموية او العباسية قبل المأمون ، لم تنظر اليه بارتياح ، خاصة وان بعض مبادئه قد تفسر سياسيا في غير مصلحة السلطة ، كقوله بحرية الارادة الانسانية ومسؤولية الانسان عن عمله وخلق الانسان للافعال ، مما يجعل السلطة والملك من فعل الانسان . وقد ارسل هؤلاء الدعاة الى المغرب منذ ايام شيخهم الكبير واصل بن عطاء المتوفى سنة ١٣١هـ ، والذي نشط لبث الدعاة ايضا في شرق اراضي الدولة العربية الاسلامية وغربها ، كما يشير الى ذلك شاعر المعتزلة صفوان الانصاري بقوله :

لـه خلف شـعب الصين في كـل ثغـرة
الى سوسهـا الاقصـي وخلف البرابـر

رجـال دعـــاة لا يفـــل عزيمهـم
تهـكم جبــــار ولا كيـد ماكــر

وكان داعيته الى المغرب عبد الله بن الحارث الذي يقول عنه صاحب المنية والامل انه اجابه خلق كثير (٢٩). والواضح ان عدد الاتباع اضحى كبيرا بعد امد ، واذا كان وجود جماعة كبيرة لهم في القيروان قد اقض مضاجع الفقهاء المالكية خاصة ، امرا طبيعيا ، نظرا لموقع القيروان ونشاطها الثقافي العام ، الا ان ما يستلفت النظر تجاوز الاعتزال في انتشاره للمغرب الادنى ووصوله الى المغرب الاوسط ، حيث سيصبح عددهم كبيرا في المستقبل ، اذ ينقل ياقوت عن البكري ، « ان مجمع الواصلية اصحاب واصل بن عطاء كان قريبا من تاهرت ، وكان عددهم نحو ثلاثين الفا في بيوت كبيوت الاعراب يحملونها» . كذلك وصل المذهب منذ وقت مبكر الى المغرب الاقصى حيث نرى شيخ قبيلة اوربة الذي لجأ اليه ادريس بن عبد الله صاحب الدولة الادريسية معتزليا. ويضيف البكري على ذلك ان ادريس شاركه في هذا الراي ايضا(٣٠) .

هجرة الثقافة بواسطة رحلات طلب العلم والكتب

نتج عن النشاطات السابقة في نقل الثقافة في ركاب الفاتحين واجهزة الدولة والاحزاب السياسية ـ المذهبية ، ارتقاء الثقافة بالمغرب على صعيدي عدد المثقفين بالثقافة العربية الاسلامية ، وارتقائها لديهم ، ومثل هذا الامر يزيد من الرغبة في تلقي المزيد من المشرق حيث المنبع والمصدر . وبالرغم من عدم انقطاع ورود العلماء من المشرق الا ان هؤلاء اصبحوا قلة نادرة اذا ما قيسوا بعدد الراحلين ، اما مراكز الفكر المشرقي التي يرتادونها فكانت بشكل رئيسي مراكز الحياة الدينية في الحجاز ، أو السياسية في العراق ، وخاصة في الكوفة والبصيرة ، ومحطة الطريق الرئيسية الى المركزين وهي الفسطاط .

وازدهرت في المغرب نتيجة لهذا الاتصال مراكز فكر كبيرة كان على رأسها القيروان وتونس في المغرب الادنى ، ومركزا تاهرت وجبل نفوسة الخارجيان . اما المغرب الاقصى فقد تأخر ظهور المركز الفكري فيه حتى اواخر القرن الثاني للهجرة في ظل ادريس الثاني . ومن اشتهروا بالعلم فيه جاؤوه من مركزي القيروان ومركز الاندلس مع موجات السكان التي قدمت الى المدينة من هذين الموقعين ، وبدأنا نسمع عن وجود فقهاء كعبد الله بن مالك الانصاري الخزرجي التي كتب العقد بشراء ادريس الثاني للارض التي بنيت عليها عدوة الاندلس من فاس . كما تظهر اسماء حملة علم مشرقي ، ففي سنة ١٨٩ هـ وفدت على ادريس وفود العرب من بلاد افريقية وبلاد الاندلس في نحو خمسمائة من الازد وبني يحصب والصدف وغيرهم ..« فاستوزر عمير ابن مصعب الازدي وكان من فرسان العرب وساداتها .. واستقضى منهم عامر بن محمد بن سعيد القيسي من قيس قيلان ، وكان رجلا صالحا ورعا سمع مالكا وسفيان الثوري وروى عنهما كثيرا »(٣١) . وقد حمل هؤلاء الراحلون كل ما في المشرق آنذاك من علوم واكثرها علوم دينية ، او لغة وآداب .

الفقه والحديث :

من المعروف ان فترة القرن الثاني في المشرق هي فترة جمع الحديث التي بدأت بقوة في اوله ، وقد اشتهر من المجموعات جامعا سفيان الثوري (المتوفى سنة ١٦٥هـ)، وهما الجامع الكبير الذي ادخله علي بن زياد في تونس ، والجامع الصغير الذي ادخله ابو خارجة عنبسة بن خارجة الغافقي المقيم في حصن على البحر بناحية سفاقس، وكان مشاهير الفقهاء يقصدون هذين الاثنين لسماع جامعي سفيان عليهما. اما في الفقه فقد برز

في هذه الفترة مذهب مالك بن انس في المدينة وابي حنيفة في العراق ، هذا عدا مذاهب متعددة ظهرت آنذاك وبلغت حوالي ثلاثة عشر مذهبا ، ومع ذلك كان العديد من الفقهاء لايتقيدون بأي واحد منها .

رغم هذا التعدد الكبير في المذاهب الفقهية في المشرق الا ان فقهاء المغاربة اشتهر عنهم الاخذ عن العلمين الكبيرين في الفقه آنذاك : مالك بن انس امام اهـل المدينة ، وابي حنيفة النعمان بن ثابت امام اهل الراي في العراق ، ويأتي بعدهما سفيان الثوري . وبين هؤلاء من لم يتقيد براي واحد من هؤلاء الائمة الثلاثة ، على الرغم مما يبدو لاول وهلة من قربهم من مالك بن انس اكثر من غيره . فقـد رحل اليه حسب قول القاضي عياض اكثر من ثلاثين رجلا منهم كلهم لقيه(٣٢) وسمـع منه . ويبدو لنا هذا الامر واضحا فيما لو استعرضنا شيئا من السيرة العلميـة لكبار فقهـاء المغـرب انذاك .

اشتهر علي بن زياد (ت ١٨٣ هـ) بأنه اول من ادخل موطأ مالك وفسر لهم قول مالك ولم يكونوا يعرفونه ، واصبح معلما لعدد من مشاهير فقهاء المغرب ، ومع ذلك فانه لم يدخل الموطأ وحده وانما ادخل ايضا جامع سفيان الثوري . اما ابن فروخ الذي تولى القضاء في القيروان ولقي مالكا وبصحبته اشتهر وبه تفقه ، فقد اخـذ من ناحية اخرى عن ابي حنيفة ، واشتهرت عنه مناقشته لتلميذ ابي حنيفة زفـر ابن الهذيل القياس المشهور(٣٣) ، وقد دون عن ابي حنيفة عشرة آلاف مسألـة . لذلك كان يحكم بما يراه صوابا سواء من اقوال مالك او من اقوال اهل العـراق . اما ابن غانم قاضي افريقية للرشيد (ت ١٩٦ هـ) فقد اخذ من مالك وعليه اعتماده ومن سفيان الثوري وكذلك من ابي يوسف صاحب ابي حنيفة . وكان في تدريسـه يخصص يوما لكتب ابي حنيفة ، وعندما تعرض له قضايا جديدة يكتب لمالك مـن جهة ولابي يوسف من جهة اخرى . وقام البهلول بن راشد (ت ١٨٣ هـ) بتأليـف كتاب في الفقه على مذهب مالك ومع ذلك كان في احكامه يميل احيانا الى راي الثوري

بعد ذلك جاء اسد بن الفرات،ذو الاصل الشامي من حران ،ليوازن في الاعتماد على الامامين ويحمل رايهما في كل قضية . اخذ الموطأ عن مالك وحمله الى العراق حيث رواه عنه احد كبار تلامذة ابي حنيفة ، وقد لقي اثنين منهما ، وهما ابـو يوسف ومحمد بن الحسن ، وارتبط بصداقة مع هذا الاخير ، ثم حمل مسائل جماعة ابي حنيفة وعرضها على ابن القاسم تلميذ مالك بمصر فاجابه هذا بالحكـم فيها ، اما نقلا ثابتا عن مالك ، واما ما يظن انه سمعه عنه ، او ما يعتقد انه حكمه في قضية مشابهة . وما لم يجد له اصلا عند مالك قال به باجتهاده على اصـل قول مالك .

ســجل اســد كل هــذا في ستين كتابــا سميت الاسدية ، فعــلا مقامه بها واشتهرت في المغرب . لكن المالكية خطت خطــوة الى الامام بتدوين احكام ائمتهــا في كتاب خاص على يد سحنون الذي حمل الاسدية لابن القاسم في مصر ، فاسقط منها ما شك فيه ، وهذبها سحنون وبوبها والحق فيها ما اختار ذكره مما اختلف عليه كبار اصحاب مالك فدعيت المدونة . وقد وصفها القاضي عياض بقوله « وهي اصل المذهب المرجح روايتها على غيرها عند المغاربــة واياهــا اختصر مختصروهم وشرح شارحوهم ونسيت الاسدية »(٣٤) .

يلاحظ مما مر ان الفقهاء المغاربة ظلوا في حالة تبعية للفقهاء المشارقة ، ولو انهم ابقوا باب الاختيار منهم مفتوحا ليأخذوا من كل قضية ما يعتقدون صحته وملاءمته ونجد عديدا من الامثلة على هذين الوجهين للرابطة التي ربطت فقهاء المغاربة باساتذتهم المشارقة . وقد بالغ بعضهم في تقليله هؤلاء المشارقة الى حد جعل السلوك حتى في الدقائق تقليدا للائمة في المشرق ، حتى ان البهلول ذاته وضع مرة خيطا في خنصره كي يذكر شيئا ، ثم خشي ان يكون ابتدع بدعة . ولما اخبره بعض اصحابه ان عبد الله بن عمر كان يفعل ذلك ، قال : الحمد لله الذي لم يجعلني ممن ابتدع بدعة في الاسلام . ونقل اخرون رأي مالك في الثوب ، مما يدل على الاهتمام بجعل الثيــاب منسجمة مع رايه ، مثل قوله « حياة الثوب طيه وعيبه قصر اكمامه » .(٣٥) وسأله بعضهم عن العمامة من ناحيتي الشكل والضرورة . كما كانوا يتهيبون من الحكــم في القضايا الجديدة التي لا يجدون لها حكما فيما حفظوه عنه او دونوه فيرسلون الكتب الى المشرق لسؤال الائمة كما كان يفعل اخوانهم المغاربة الخوارج الذين كانوا يستفتون الائمة في البصرة . كذلك كانوا يخضعون بعض عاداتهم للتقييم علـــى اساس الشرع لتبين عدممخالفتها ، كما هو الحل في سؤالهم لمالك عن جواز الصــلاة وهم يضعون (التالــة) ، وهي قماش مصنوع بشكل خاص ، يربطونه على انفسهم ليجمعوا فيه ما يجنونه من الحشائش . وجاءهم جوابه بالقول « اذا كنتم انمــا تفعلون هذا لمنافعكم ، فتحضركم الصلاة فتصلون به هكذا ، ما ارى فيه بأسا ان شاء الله » . ومع اتباعهم للاحكام الجاهزة التي يستخرجها الائمة المشارقة منالاصول ، الا انهم يحاولون عند التطبيق مراعاة الظروف المحلية والحكم على الاشياء في ضوء المبدأ العام ، كما هو الحال في قضية الاشربة ، التي عرضها اسد بن الفرات في كتاب الاشربة وفيه حكم بجواز شرب المنصف ، اي عصير العنب الــذي يغلى حتى يذهب نصفه ويبقى النصف الاخر . لكنه راى ان الحكم يتعلق بعنب خراسان و هوحسب قوله « كثير العسل قليل الماء فهو ينعقد على النصف ، واما غيره فــلا يجوز حتى ينعقد وان بلغ الثلثين » . قال : ولقد اختبرنا عنبنا بمجردة (وادي) فوجدناهلاينعقد الا على الثلاثة ارباع لانه قليل العسل كثير الماء ، ولا يحل قبل انعقاده وكذلك قال

اهل العلم ، اذا انعقد قبل ان يبلغ الثلثين حل لان الحكم فيها انعقاده ، ولا يشرب الطلا حتى يصير اصفر كعسل النحل(٣٦) .

اللغـــة والادب :

لم تكن العلوم انذاك قد تمايزت الى حد كبير في المشرق . وكان الطلبة الوافدون من المغرب يحملون من مراكز النشاط الفكري ، وخاصة من مراكز العراق ، بعضا من نتاجه في هذه الميادين .

ومن المعروف ان الفترة كانت فترة نشاط للبحث في النحو وفي جمع اللغة ، والبحث في التاريخ الذي تبلور في تياري السيرة او المغازي واخبار الفعاليات القبلية في الماضي الاسلامي . اضف الى ذلك ان ولاة القيروان وخاصة المهالبة المشهورين بالجود في العطاء ، حاول بعضهم ان يجعل بلاطه شبيها ببلاط اسيادهم في العراق ، فساد فيه الشعر والحديث في اللغة ، كما قصد هذا البلاط بعض المشارقـة . ومن الامثلة عليها ما جرى في مجلس الوالي يزيد بن حاتم المهلبي اذ ورد على لســان قاضيه قوله : « وقد اهللنا هلال شهر رمضان فتشايرنا بالايدي . فاتهمه يزيد بانه لحن ويجب ان يقول تشاورناه » فحكم الطرفان احد النحويين في ذلك(٣٧) .

ومما انتقل الى القيروان في هذا المجال من المشرق الشعر ومجموعاته. فقد قام امان ابن الصمصامة بن الطرماح بن حكيم ، الشاعر والعالم باللغة بنقل اشعار جده التي كان يحفظها ، ومثله عياض بن عوانة بن الحكم بن عوانة الكلبي ، وكان نحويا ايضــا حافظا للشعر فنقله مع تراث العائلة من جدها في حفظ الانساب والتاريخ . كمــا دخلت في هذه الفترة كتب المغازي فقام ابو الوليد المهري بشرحها . وبدأ القيراونيون، على شاكلة المشارقة ، بالسماع من الاعراب الذين يحلون بين صفوفهم وخاصــة للتجارة ، حتى ان وصف اليمني ابي هلال ، الذي اتجه الى تاهرت ومنها الــى بلد السودان ، للشمس ، ظل محفوظا ومكررا في كتبهم عدة قرون ، كما لم يعدم الامر ورود مشارقة الى بلاط المهالبة كما هو شأن قتيبة النحوي احد اعلام مدرســة الكوفــة في النحــو .

بهذا كان القرن الثاني للهجرة فترة التكوين للثقافة العربية الاسلامية في المغرب، التي استمدت اصولها من المشرق ، ثم طورت هذه الاصول بالانسجام مع اوضاع المغرب . الامر الذي يعني بحد ذاته اغناء وتنويعا في الفروع ضمن اطار الثقافة الواحدة



الحواشي :

(1) G. Marçais, **La Berberie musulmane et L'O rient**, p. 133

(٢) الدباغ ، معالم الايمان في معرفة اهل القيروان ،مصر ١٩٦٨ ، ص ٣٣٠ – ٣٣٣ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٣ ، ص٢٩٧ .

(٤) الدباغ ، معالم الايمان ، ص ١٠٧ – ١١٢ .

(٥) ابن سعد ، طبقات ، ج٥ ، ص ٣٩١ . ابن عساكر ، التهذيب ، ج٥ ، ص ٧ . المقري ، النفح ، ج٤ ، ص ٥–٦ . ابن الفرضي ، تاريخ العلماء، ت ١٤٨ .

(٦) ابن عذاري ، البيان ، ج١ ، ص ٤١ – ٤٢ . ابن خلدون ، العبر ، ج٧ ، ص ٩ .

(٧) ابن عذاري ، البيان ، ج١ ، ص ٤٢ .

(٨) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٢٠٧ .

(٩) ابن عذاري ، ج١ ، ص ٣٧ . المالكي ، رياض النفوس ، ص ٣٣ – ٣٤ ، وفيه ان هذا يسمى البسيسة . الدباغ ، معالم الايمان ، ص٦٥ .

(١٠) بدر ، دراسات في تاريخ الاندلس ، ص ٢١ – ٢٤

(١١) ابن عذاري ، البيان ، ج١ ، ص ٢٧ – ٤٢ .

(١٢) ابن الخطيب ، تاريخ المغرب في العصر الوسيط ، ص١٧١– ١٧٢ .البكري ، المسالك ، ص ٩٠–٩١

(١٣) الدباغ ، معالم الايمان ، ص ١٥١ .

(١٤) المالكي ، رياض النفوس ، ص ٢٢ .

(١٥) ابن عذاري ، البيان ، ج١ ، ص ٤٢ .

(١٦) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٢٠١ .

(١٧) ابن ابي دينار ، المؤنس ... ، ص ٣٨ .

(١٨) ابن عذاري ، البيان ، ج١ ، ص ٤٨ .

(١٩) ابن سعد ، طبقات ، ج٥ ، ص ٢١٦ . ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج١٢ ، ص ١٨١ – ١٩٠ . المالكي ، رياض النفوس ، ج١ ، ص ٣ ٩ .

(٢٠) ابن الخطيب ، الاعمال (الخاص بالمغرب) ، تحقيق العبادي والكتاني ، ص ١٣٨ ، ١٤٠ – ١٤٢ .

(٢١) ابن سعد ، ج٧ ، ص ١٣١ – ١٣٢ . ابن حجر ، تهذيب ، ج٢ ، ص ٣٨ . الشماخي ، السير ص ٧٠ – ٧٧ .

(٢٢) المصدر السابق ، ص ٨٤ . سالم الحارثي ، العقود الفضية في اصول الاباضية ، ص ١٢٩–١٤٨.

(٢٣) الشماخي ، سير ، ص ١٢٢ – ١٢٣ . ديوز ، تاريخ المغرب ، ج٣ ، ص ١٩٤ .

(٢٤) ابن ماكولا ، اكمال ، ج٤ ، ص ٢٥٩ .

(٢٥) المالكي ، رياض النفوس ، ج١ ، ص ٧٥ . الدباغ ، ص ٢٠٢ .

(٢٦) المصدر السابق ، ص ١٩١ – ١٩٥ .

(٢٧) المالكي ، رياض النفوس ، ج١، ص ٦٧.

(٢٨) القاضي النعمان ، رسالة افتتاح الدعوة ، ص٥٤–٥٨ . ابن خلدون ، ج٤ ، ص٣١ . ابن الاثير الكامل ، ج٨ ، ص ٣١.

(٢٩) المنية والامل ، ص ١٩ .

(٣٠) البكري ، المسالك ، ص ١١٩ – ١٢١ . ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ج١ ، ص ٢٣ – ٢٤ .

(٣١) ابن القاضي ، جذوة الاقتباس ، ج١ ، ص ٢٧ ، ٣١–٣٢ .

(٣٢) القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، ج١و٢، ص٤٥٤ .

(٣٣) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٠٢ .

(٣٤) القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، ج١و٢ ، ص ٤٧٢ .

(٣٥) المالكي ، رياض النفوس ، ج١، ص ١٥٧ .

(٣٦) المصدر السابق ، ص ١٨٤ .

(٣٧) الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ص٢٢٥ – ٢٧ ، ١٣٥–١٣٦

